
خيرية الأمة

«شروط مكتسبة لا عنصرية موروثة»

obeikandi.com

تمهيد

عندما يكون الحديث عن الصفات والشمائل التي يتحلى بها الإنسان - على مستوى الأفراد أو الجماعات - فإن هناك حدوداً فارقة بين «الصفات اللصيقة» وبين «الصفات المكتسبة» . . فإن يكن الإنسان طويلاً أو قصيراً . . أسود أو أبيض أو أصفر . . مرسل الشعر أو أجعده . . عربياً أو أعجمياً . . شرقياً أو غربياً . . من سكان الشمال أو الجنوب . . إلخ . . إلخ . . فهي جميعاً - وأمثالها - «صفات لصيقة» لا يتفاضل فيها أو بها إنسان على إنسان أو أمة على أمة؛ لأنها صفات جبلية وطبيعية، لا دخل للإنسان في الاتصاف بها، ولا حيلة في تغييرها، حتى إذا أراد لها التغيير . .

ولذلك، فليس من العدل ولا من الحكمة أن يتفاضل الناس بهذا النوع من الصفات، وإلا كان ذلك تكليفاً للناس بما لا يطاق، وبما لا يستطيعون إليه سبيلاً ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] .

أما الصفات التي يتم فيها وبها التفاضل بين الناس، فهي «الصفات المكتسبة»، التي يخضع اكتسابها والتفاوت في درجاتها للإرادات والطموحات والقدرات والمهارات، وذلك من مثل «الإيمان» و«التقوى» و«محاسن الأخلاق» و«البراعة في العلوم والفنون والآداب»، وفي «المهارات» التي تضع العلوم والفنون في الممارسات والتطبيقات . . فبهذه «الصفات المكتسبة» يتميّز الناس، أفراداً وجماعات، ويتفاضلون ويتسابقون على درجات سلم «الخيرية»؛ لأن اكتساب هذه الصفات والتسابق في ميادينها هو مما يستطيعه الكافة، بحسب ما لديهم من عزائم وإرادات وقدرات ومهارات، وبقدر ما يبذلون في ذلك من مجهودات وتضحيات .

ولهذه الحقيقة البديهية ، وجدنا العدل الإلهي يحدثنا عن أن التكريم - تكريم الخالق - سبحانه وتعالى - إنما كان لمطلق بنى آدم . . «فالخلق» صفة لصيقة بجميع بنى آدم ، والنفخ فيهم من روح الله - وهو سر التكريم - عام يستوى فيه الجميع ، وكذلك «التسخير» الإلهي لكل قوى الطبيعة للإنسان - مطلق الإنسان - هو من القضاء الحتم الذي شاءته الحكمة الإلهية : ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء : ٧٠] .

وتحت هذا التكريم العام يأتى التفاضل والتفاوت والتمايز فى الصفات الإنسانية المكتسبة ، ومنها «التقوى» و«العلم» - مثلاً - فيقول الله - سبحانه وتعالى - : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات : ١٣] . . فالخلق من ذكر وأنثى ، وتقسيم الخلائق إلى شعوب وقبائل ، هما من الصفات اللصيقة . . أما التفاضل بالتقوى فهو مما يكتسبه الإنسان ، وتتفاوت فيه الدرجات والقدرات . . وكذلك الحال مع «العلم» : ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر : ٩] .

خيرية مشروطة

ولهذه الحقيقة من حقائق العدل الإلهي، كان حديث القرآن الكريم عن خيرية الأمة الإسلامية - وعن أنها خير أمة أخرجت للناس - حديثاً عن «خيرية مشروطة» باكتساب هذه الأمة لمجموعة من «الصفات المكتسبة»، تتوقف خيريتها - ومقادير هذه الخيرية - على ما حصلت هذه الأمة من هذه الصفات . . وليس حديثاً عن «خيرية مطلقة»، تدعيها هذه الأمة بحكم العرق أو الجنس أو اللون أو الميراث أو التاريخ، أو أية صفة من «الصفات اللصيقة» التي لا فضل لها في تحديد معايير الخيرية ودرجاتها .

وإذا نحن ذهبنا إلى السياق القرآني الذي تحدث عن خيرية الأمة الإسلامية، وتميزها بهذه الخيرية عن غيرها من الأمم، نجد مصداق هذا المنهاج الذي تحدثنا عنه وحددناه . . ففي هذا السياق - الذي تحدثت فيه آيات سورة آل عمران: ١٠٢ - ١١٠ عن هذه الخيرية - نجدها مشروطة باكتساب هذه الأمة الإسلامية، وتحقيقها وتطبيقها للعديد من القيم والمبادئ والشروط . .

وذلك من مثل :

١ - أن تكون هذه الأمة «أمة مؤمنة»، جامعة في إيمانها كل أركان الإيمان - الإيمان بالله، واليوم الآخر، وبدين الله الواحد، وبسائر الكتب والنبوات والرسالات - وذلك حتى لا تكون هذه الخيرية مجرد «منافع» دنيوية، يحسنها العقل المجرد عن الشرع، بعيداً عن الانتماء لخالق الخير وواهبه للإنسان .

٢ - وأن ترتقى هذه الأمة - كي تحقق الخيرية على غيرها من الأمم - على سلم الإيمان، فتحقق مستوى «التقوى»، التي هي الضمير الحي للمؤمن، الذي يتقى

ويتجنب كل ما يغضب مولاہ . . وللخيرية فى هذا المستوى درجات ، أعلاها أن نتقى الله حق تقاته ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ [آل عمران : ١٠٢] . وأدناها أن نتقى الله قدر المستطاع ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن : ١٦] . وللاستطاعة - هى الأخرى - درجات يتفاوت فى طلبها وتحقيقها المتقون .

٣- وأن لا تكون هذه التقوى مقصورة على ذات الفرد التقى ؛ لأن الإسلام دين الجماعة ، وكثير من فرائضه وتكاليفه جماعية واجتماعية ، لا تتأتى ولا تُقام إلا فى وطن وأمة وجماعة واجتماع ، حتى إن رهبانية الإسلام كانت الجهاد فى سبيل الله ، وليست العزلة الفردية التى تبغى الخلاص الفردى عن طريق إدارة الظاهر للجماعة والمجموع . . ولذلك كانت خيرية الأمة الإسلامية مرهونة بتحقيق فريضة التآلف والألفة والاتحاد والاعتصام بحبل الله . .

٤- أما الشرط الرابع لخيرية الأمة الإسلامية ، فإنه شرط عام يشمل سائر فرائض العمل الاجتماعى العام . . إنه شرط أن تكون هذه الأمة أمرة بالمعروف ناهية عن المنكر . . مغيرة للمنكر إذا وقع . .

- * إقامة العدل - مع الذات ومع الآخر - حتى لو كنا نكرهه ، أو حتى نحاربه .
- * وإشاعة منهاج الوسطية الإسلامية الجامعة - فى الفكر والتطبيق .
- * وإقامة الشورى - فى الأسرة . . والمجتمع . . والدولة .

* والتكافل الاجتماعى ، الذى يحقق عدالة التوازن ، والتوازن العادل بين شرائح المجتمع الإسلامى وطبقاته حتى تكون الأمة كالجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى .

* وتحقيق قيمة الحرية - المضبوطة بضوابط الشريعة الإلهية - فى مختلف ميادين الحياة - الفكرية والعملية .

* والجهاد لنصرة المظلومين وتحرير المستضعفين فى الأرض .

* والتسابق على طريق الخيرات التى تحقق سعادة الناس فى الدنيا والآخرة .

كل هذه الفرائض الاجتماعية - وأمثالها - هي بعض من التكاليف التي وضعها الإسلام تحت الفريضة العامة والجامعة: «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» . . وهي التي أناطها بكل المكلفين - رجالا ونساء: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١] . .

وبإقامة هذه الفرائض الاجتماعية - والاتصاف بشمرائها - تتحقق خيرية الأمة الإسلامية . . بل إن غيبة هذه الفرائض الاجتماعية وصفاتها يسلب من الناس حتى معنى «الأمة - الجماعة» . . وليس فقط صفة «الخيرية» . . لأنهم يكونون عندئذ مجرد «أفراد» مبعثرين ، وليسوا «أمة» من الأمم! . .

عن ذلك كله تحدث القرآن الكريم ، عندما عرض لخيرية الأمة الإسلامية ، وشروط هذه الخيرية ، وصفات الأمة التي هي خير أمة أخرجت للناس . . فقال :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٢) وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٠٣) وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٤) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٥) يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (١٠٦) وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١٠٧) تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ (١٠٨) وَاللَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (١٠٩) كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢ - ١١٠] . .

فجماع الصفات التي تحقق خيرية الأمة الإسلامية - إذا أردنا تكثيفها - هي :

١ - الإيمان . . الذى هو الشرط فى حفظ الأعمال من الإحباط . .

٢ - والعمل الصالح . . الذى تندرج كل شعبه وتكاليفه وفرائضه تحت فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وجميع شروط هذه الخيرية وصفاتها ومؤهلاتها «مكتسبة»، وأبواب ميادينها مفتوحة أمام سائر عباد الله . . وليست صفات «الصيقة»، ولا هى حكر على من يتسمون بأسماء المسلمين، ويدعون أنهم مسلمون - ففارق بين أن يكون الناس مجرد مسلمين، وبين أن يكونوا الأمة الإسلامية التى هى خير أمة أخرجت للناس . . بل إن الآية تقول: ﴿وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ [آل عمران: ١١٠]. فآبواب الخيرية مفتوحة أمام الجميع! . . وهى موصودة أمام الذين أوصدوها باختيارهم عندما كفروا بالتوحيد . . وفرقوا بين الرسل . . وكتبوا الكتاب بأيديهم ثم قالوا هو من عند الله . . وعندما ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٩].

- ٣ -

التعريف بالمصطلحات

ولأن هذا هو الموقف القرآنى من خيرية الأمة الإسلامية . . وتلك هى صفاتها وشروطها، كان لزاما تحرير مضامين المصطلحات فى هذا المبحث . . مصطلحات :

١ - الأمة . .

٢ - والخير . .

٣ - والمعروف . .

٤ - والمنكر . .

٥ - والفارق بين «الأمر . . والنهى» وبين «التغيير» . .

* ولأن شروط تكوين «الأمة» هى الأخرى شروط «مكتسبة»، وليست «لصيقة» - كالعرق والجنس واللون - كان معناها ومفهومها - فى العربية - لغة القرآن الكريم - وفى الإسلام مفهوماً مفتوحة أبوابه لكل من يكتسب الشروط والصفات التى يطلق مصطلح «الأمة» على المكتسبين لها والمتصفين بها . . وكان تحقق معنى هذه الأمة مستمرا دائما وأبدا . .

فالأمة - كما يقول الراغب الأصفهاني [٥٠٢ هـ - ١١٠٨ م] - : «كل جماعة يجمعها أمر ما، إما دين واحد، أو زمان واحد، أو مكان واحد، سواء كان ذلك الأمر الجامع تسخييرا أو اختيارا» ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ [الأنعام : ٣٨] . . أى كل نوع منها على طريقة قد سخرها الله عليها بالطبع . . ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [البقرة : ٢١٣] . . صنفاً واحداً وعلى طريقة واحدة . . ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ

لجعلكم أمة واحدة ﴿المائدة: ٤٨﴾ . . أى فى الإيمان . . ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾ [آل عمران: ١٠٤] أى: جماعة يتخيرون العلم والعمل الصالح . يكونون أسوة لغيرهم . . ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ﴾ [الزخرف: ٢٣] . . أى على دين مجتمع . . ﴿وَاذْكُرْ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ [يوسف: ٤٥]: أى بعد حين، أى بعد انقضاء أهل عصر أو أهل دين . . ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ﴾ [النحل: ١٢٠] . . أى قائماً مقام جماعة فى عبادة الله . . (١)

ونحن نلاحظ أن جوامع الأمة، وإن صدرت عن التسخير الإلهى فى «الحيوان» و«الزمان» فإنها كانت دائماً اختيارية مكتسبة فى عالم الإنسان . وهذا ملحظ مهم له دلالة فى كون الخيرية - خيرية الأمة الإسلامية - هى ثمرة للشروط والصفات المكتسبة، المفتوحة أبواب ميادينها أمام الناس كافة . . ومن ثم فإن هذه الخيرية لا علاقة لها بالصفات اللصيقة، ولا بالاحتكار النابع من أوهام «العنصرية» التى سادت هذا المفهوم خارج إطار الإسلام! . .
هذا عن مصطلح الأمة . .

* أما مصطلح «الخير» فإنه - كما يقول الراغب الأصفهاني - «ضربان»:

١ - خير مطلق، وهو أن يكون مرغوباً فيه بكل حال وعند كل أحد . . كالعقل مثلاً، والعدل، والفضل، والشئ النافع .

٢ - وخير مقيد، وهو ما يكون خيراً لواحد شراً للآخر، كالمال الذى ربما يكون خيراً لزيد وشراً لعمرو، ولذلك وصفه الله - تعالى - بالأميرين فقال فى موضع: ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا﴾ [البقرة: ١٨٠] . وقال فى موضع آخر: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَيْنَ﴾ (٥٥) نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ ﴿المؤمنون: ٥٥-٥٦﴾ (٢) .

* أما مصطلح «المعروف» فهو - عند الراغب الأصفهاني - : «اسم لكل فعل يُعرف بالعقل أو الشرع حسنه» .

* ويقابله «المنكر»: الذى يُنكر بالعقل والشرع معاً (٣) .

رؤية حضارية لخيرية الأمة

ولقد كان الإمام محمد عبده [١٢٦٥ - ١٣٢٣ هـ / ١٨٤٩ - ١٩٠٥ م] من أكثر المفسرين المجتهدين الذين وقفوا وقفات عبقرية وواعية أمام هذه الآيات التي تحدثت عن صفات الخيرية في الأمة الإسلامية، مفصلاً في الآفاق والمقاصد الحضارية - العصرية والمستقبلية - التي تجعل هذه الخيرية سبيلاً للإقلاع الحضارى، الذى يعتق المسلمون وينتقدون من المأزق الذى يأخذ منهم بالخناق . .

* فهو يعرف «الخير» - المراد فى هذه الآيات - بأنه «الإسلام، الذى هو دين الله على لسان جميع الأنبياء لجميع الأمم، وهو الإخلاص لله تعالى، والرجوع عن الهوى إلى حكم الله، وهذا مطلوب منا بحكم جعلنا أمة وسطاً وشهداء على الناس . .» .

* «وخير أمة أخرجت للناس . . مقيد بكوننا نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر»^(٤) .

فليست كل قوة محمودة . . وليس كل تمكين فى الأرض يكون خيراً - بهذا المعنى الإسلامى للخير والخيرية - ﴿أَوْ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [الروم : ٩] . . ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسِلِينَ (٨٠) وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ (٨١) وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ (٨٢) فَآخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ (٨٣) فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الحجر : ٨٠ - ٨٤] . . ﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرَى مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٥١) أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ [الزخرف : ٥١ - ٥٢] .

فهناك «مفاهيم فرعونية» للخيرية، لا علاقة لها بالمفهوم الإسلامى لهذه الخيرية . .
والذى يجب أن يركز على إقامة الفرائض التى تجمعها فريضة الأمر بالمعروف والنهى
عن المنكر ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا
عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [الحج : ٤١] .

* ولقد جاء تعريف الإمام محمد عبده لمصطلحي «المعروف» و«المنكر» قريباً من
تعريف الراغب الأصفهاني لهما . .

«فالمعروف - عند إطلاقه - : يراد به ما عرفته العقول والطباع السليمة، والمنكر :
ضده، وهو ما أنكرته العقول والطباع السليمة . وإنما المرشد إليه - مع سلامة الفطرة -
كتاب الله وسنة رسوله المنقولة بالتواتر، والعمل، وهو ما لا يسع أحد جهله، ولا يكون
المسلم مسلماً إلا به»^(٥) .

«ولقد وقف الإمام محمد عبده وقفة ذكية أمام اختلاف المفسرين فى معنى «من» فى
آية ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ
الْمُقْلِحُونَ﴾ [آل عمران : ١٠٤] . . . وهل معنى «من» هو «البيان»، فتكون الخيرية لكل
الأمة وعامتها؟ وتكون فرائض الدعوة إلى الخير - الإسلام - والأمر بالمعروف والنهى
عن المنكر واجبة على كل أحاد الأمة؟؟

أم أن معنى «من» هو «التبويض»، فتكون فريضة الدعوة إلى الخير - الإسلام -
والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر خاصة بفتة بعينها، هى «الأمة الخاصة» التى تتكون
من الصفوة والنخبة والقيادات التى تختارها - لهذه المهمة - الأمة العامة؟؟

لقد وقف الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده وقفة ذكية أمام هذا الاختلاف الشهير
بين المفسرين لمعنى «من» فى هذه الآية . . وانتهى - بعد الشرح والتفصيل - إلى الرأى
الذى يجمع بين التفسيرين . .

فنحن - بإزاء جماعة المسلمين - أمام أمتين، أو أمة ذات مستويين :

١ - المستوى العام للأمة العامة . . والدعوة إلى الخير - الإسلام - والأمر بالمعروف
والنهى عن المنكر - مثلها كمثلى الإيمان بالله - فريضة على كل واحد من أفراد هذه

الأمة، بحسب المقدرة والاستطاعة والإمكانات التى لدى كل فرد من الأفراد . .

٢- والمستوى الخاص للأمة الخاصة، ذات المؤهلات الأعلى والقدرات الأكبر فى النهوض بهذه الفريضة . . واختيار هذه الأمة الخاصة وانتخابها - وكذلك مراقبتها ومحاسبتها وتغييرها - هو فرائض واجبة على الأمة الإسلامية بالمعنى الشامل والعام . . وفى هذا التفسير الجامع يقول الأستاذ الإمام :

« وإذا كان كل فرد من أفراد المسلمين مكلفاً بالدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بمقتضى الوجه الأول فى تفسير الآية - على أن « من » بيانية - فإنهم مكلفون بمقتضى الوجه الثانى - على أن « من » للتبويض - أن يختاروا أمة منهم تقوم بهذا العمل لأجل أن تتقنه وتقدر على تنفيذه . . فإقامة هذه الأمة الخاصة فرض عين يجب على كل مكلف أن يشترك فيه مع الآخرين . ولا مشقة فى هذا علينا، فإنه يتيسر لأهل كل قرية أن يجتمعوا ويختاروا واحداً منهم أو أكثر، أن يختاروا جماعة يصح أن يطلق عليهم لفظ الأمة، ويعملوا ما تعمله بالاتحاد والقوة ليتولوا إقامة هذه الفريضة فيها، كما يجب فى كل مجتمع إسلامى - سواء كان فى الحواضر أو البوادي - فإن معنى الأمة يدخل فيه معنى الارتباط والوحدة التى تجعل أفرادها على اختلاف وظائفهم وأعمالهم - حتى فى إقامة هذه الفريضة عند تشعب الأعمال فيها - كأنهم شخص واحد .

وهذه الأمة يدخل فى عملها الأمور العامة التى هى من شأن الحكام، وأمور العلم وطرق إفادته ونشره، وتقرير الأحكام، وأمور العامة الشخصية . ويشترط فيها العلم بذلك، ولذلك جعلت أمة، وفى معنى الأمة القوة والاتحاد، وهذه الأمور لا تتم إلا بالقوة والاتحاد . . وأعمال هذه الأمة لا تتم إلا بأمور كثيرة، منها :

١ - العلم التام بما يدعون إليه . .

٢ - والعلم بحال من توجه إليهم الدعوة . .

٣ - ومناشئ علم التاريخ العام . .

٤ - وعلم تقويم البلدان . .

٥ - وعلم النفس . .

٦- وعلم الأخلاق . .

٧- وعلم السياسة .

٨- والعلم بالفنون والعلوم . .

٩- ومعرفة الملل والنحل .

١٠- والعلم بلغات الأمم التي تراد دعوتها .

ثم إن كون الأمة الخاصة منتخبة من الأمة العامة يقتضى أن تكون للعامة رقابة وسيطرة على الخاصة، تحاسبها على تفريطها، ولا تعيد انتخاب من يقصر فى عمله لمثله، فالأمة الصغرى المنتخبة - بفتح الحاء - تكون مسيطرة على أفراد الأمة الكبرى المنتخبة - بكسر الحاء - وهذه تكون مسيطرة على الأمة الصغرى، وبهذا يكون المسلمون فى تكافل وتضامن . . فهاهنا فريضتان :

إحدهما : على جميع المسلمين . .

والثانية : على الأمة التى يختارونها للدعوة .

ولا يفهم معنى هذا حق الفهم إلا بفهم معنى لفظ الأمة، وليس معناه «الجماعة» كما قيل، وإلا لما اختير هذا اللفظ . والصواب أن الأمة أخص من الجماعة، فهى الجماعة المؤلفة من أفراد لهم رابطة تضمهم ووحدة يكونون بها كالأعضاء فى بنية الشخص، والمراد بكون المؤمنين كافة مخاطبين بتكوين هذه الأمة لهذا العمل هو أن يكون لكل فرد إرادة وعمل فى إيجادها وإسعادها ومراقبة سيرها بحسب الاستطاعة، حتى إذا رأوا منها خطأ وانحرفاً أرجعوها إلى الصواب .

وقد كان المسلمون فى الصدر الأول، لا سيما زمن أبى بكر [٥١ ق هـ ١٣ هـ / ٥٧٣ م - ٦٣٤ م] وعمر [٤٠ ق هـ - ٢٣ هـ / ٥٨٤ - ٦٤٤ م] على هذا النهج من المراقبة للقائمين بالأعمال العامة، حتى كان الصعلوك من رعاة الإبل يأمر مثل عمر بن الخطاب - وهو أمير المؤمنين - وينهاه فيما يرى أنه الصواب، ولا بدع فالخلفاء على نزاهتهم وفضلهم ليسوا بمعصومين، وقد صرح عمر بخطئه ورجع عن رأيه غير مرة . .^(٦)

وبهذا التفسير الجامع لمعاني حرف «من» - البيان . . والتبعيض - تكون أعباء الخيرية وتكاليفها، وكذلك ثمراتها وفضائلها عامة في الأمة الإسلامية، بالمعنى العام للأمة، وبالمعنى الخاص المتمثل في الصفوة والنخبة والريادات والقيادات، فلا تكون الخيرية حكراً على فريق دون غيره من الفرقاء .

وعلى حين اتجه بعض المفسرين لهذه الآيات القرآنية - آيات الصفات والشروط المحققة لخيرية الأمة الإسلامية - إلى تضيق نطاق من تجب عليهم فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - من باب آخر - فأخرجوا من هذا النطاق من كان غير مؤتمراً بالمعروف ومنتها عن المنكر . . ومن كان غير آمن على نفسه إذا هو أمر بالمعروف ونهى عن المنكر . . رأينا الأستاذ الإمام يرفض هذا الاتجاه، ويؤكد على وجوب هذه الفريضة الجامعة على كل المؤمنين بالإسلام . . فيقول - متعجباً من هذا الرأي - :

«ومن عجب أن بعض الناس اشترطوا لهذه الفريضة - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - شرطاً لم يأذن به الله، ولم ينزله في كتابه، وهو أنه لا يأمر وينهى إلا من كان مؤتمراً، ومنتهاً . .

ويشترط بعضهم للوجوب شرطاً آخر، وهو الأمن على النفس . . وكان ينبغي أن يقولوا: على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن يدعو بالحكمة والموعظة الحسنة حتى لا ينفر الناس، أو لا يحملهم على إيذائه، فإن الله يقول: إنه لا نجات للناس إلا بالتواصي بالحق والتواصي بالصبر، ولم يشترط في ذلك شرطاً .

إن الله - تعالى - أمر الناس بالتواصي بالحق والدعوة إلى الخير، وأمرهم أن يعدوا لذلك عدته ويعرفوا سبله، وهي مبسطة في السنة . . فهذه هي الحكمة، وبها تجب القدوة ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١] . . وإنا لن نكون متبعين له حتى نأمر بالمعروف وننهي عن المنكر على سنته وطريقته . . (٧)

كذلك يرفض الأستاذ الإمام محمد عبده الآراء التي تذهب إلى تضيق نطاق

التكليف بهذه الفريضة الجامعة لشروط الخيرية وصفاتها، عن طريق اشتراط «قدرات متميزة» فيمن يقوم بها . . . وبنه الأستاذ الإمام على أن ذلك إنما حدث لأصحاب هذا الرأي من الخلط بين «الأمر» بالمعروف و«النهي» عن المنكر، وبين «التغيير» للمنكر . . . فالتغيير هو الذى يحتاج إلى شروط وقدرات وإمكانات وتخصصات؛ لأنه «تغيير» للمنكر بعد وقوعه فهو «فعل» يقتلع «واقعا» . . . أما «الأمر» . . . و«النهي» فإنهما فريضة عامة وشاملة لكل آحاد المؤمنين، ولجماعتهم على السواء . . . وهما تنبيه وتحذير للحيلولة دون تجسد المنكر فى الواقع والتطبيق . . .

ينبه الأستاذ الإمام على هذه الحقيقة، فيقول:

«وهنا يخلطون . . . بين النهى عن المنكر وتغيير المنكر الذى جاء فى حديث: «من رأى منكم منكراً فليغيره . . .» - رواه مسلم والترمذى والنسائى . . . وهنا شئ آخر غير النهى البتة، فإن النهى عن الشئ إنما يكون قبل فعله، وإلا كان رفعاً للواقع أو تحصيلاً للحاصل، فإذا رأيت شخصاً يغش السمن مثلاً وجب عليك تغيير ذلك ومنعه بالفعل إن استطعت، فالقدرة والاستطاعة هنا مشروطة بالنص، فإن لم تقدر على ذلك وجب عليك التغيير باللسان، وهو غير خاص بنهى الغاش ووعظه، بل يدخل فيه رفع أمره إلى الحاكم الذى يمنعه بقدرة فوق قدرتك . أما التغيير بالقلب فهو عبارة عن مقت الفاعل وعدم الرضى بفعله . وللنهي طرق كثيرة وأساليب متعددة، ولكل مقام مقال .

نعم، إن دعوة الأمة غيرها من الأم إلى الخير الذى هى عليه لا يطالب بها كل فرد بالفعل، إذ لا يستطيع كل فرد ذلك، وإنما يجب على كل فرد أن يجعل ذلك نصب عينيه حتى إذا عنَّ له بأن لقي أحداً من أفراد تلك الأم دعاه، لا أنه ينقطع لذلك ويسافر لأجله، وإنما يقوم بهذا طائفة يعدون له عدته، وسائر الأفراد يقومون به عند الاستطاعة، فهو يشبه فريضة الحج، وهى فرض عين ولكن على المستطيع .

وفريضة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر أكد من فريضة الحج، ولم يشترط فيها الاستطاعة لأنها مستطاعة دائماً . . .

وجملة القول، أن الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فرض حتم على كل مسلم . . . وكون هذا حفاظاً وحرزاً للأمة ظاهر، فإن الناس إذا تركوا دعوة

الخير، وسكت بعضهم لبعض على ارتكاب المنكرات خرجوا عن معنى الأمة، وكانوا
أفذاذا متفرقين لا جامعة لهم. . فلا بد للمرء فى حفظ نفسه ومن معه من الأمر
بالمعروف والنهى عن المنكر لا سيما أمهات المنكرات المفسدة للاجتماع كالكذب
والخيانة والحسد والغش. فهذا ليس من فروض الكفاية التى يتوكل فيها الناس كصلاة
الجنائز. . ولكنه إذا رأى منكراً وجب عليه أن ينهى عنه ولا ينتظر غيره. .» (٧).

هكذا تجلت فريضة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، فريضة جامعة لصفات
الخيرية فى الأمة الإسلامية، وهى فريضة يتوجه التكليف الإسلامى بها إلى الكافة؛
لأن شروطها وصفاتها مكتسبة، مفتوحة أبواب ميادينها أمام أصحاب العزائم
والإرادات من كل الأجناس والطبقات. . وليست حكراً على سلالة أو جنس أو لون
أو طبقة، كحال الصفات اللصيقة، التى هى جبلية لا مجال فيها للاجتهاد والتغيير.

وهكذا رأيناها فى التصور الحضارى للإمام محمد عبده معبرة عن خلاصة مشروع
للنهضة، تصلح به الأمة آخرها، كما سبق وأصلحت به أولها. . وليست مجرد
صورة تقليدية للحض على العبادات الفردية، كما تصورها ويصورها نفر من أهل
الجمود والتقليد! . .

إنها إقامة النظام الإسلامى المؤمن، والعاقل والشامل، المحقق للأمانة التى حملها
الإنسان الخليفة لله - سبحانه وتعالى - . . أمانة «العمران المؤمن» لهذا الوجود.

فإقامة «العمران المؤمن» تتحقق خيرية الأمة الإسلامية، ذلك الذى يتحقق فيه وبه
انتماء الأمة إلى بارئها - سبحانه وتعالى - متطلعة أرواحها إلى مصدر الروح الإلهى الذى
منه كان الشرف والتشريف والتكريم والتفضيل للإنسان حتى على الملائكة المقربين.

وبقيام هذا «العمران المؤمن» على «التقوى»، التى هى الثمرة الطيبة لفريضة الأمر
بالمعروف والنهى عن المنكر، تتحقق خيرية الأمة الإسلامية، عندما تثمر هذه الفريضة
«النظام العام». . والآداب العامة، فتكون الخيرية - فى كلمات قليلة - هى الأمانة التى
عرضها الله - سبحانه وتعالى - على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها
وأشفقن منها وحملها الإنسان! . .

✽ إن العدل اسم من أسماء الله - سبحانه وتعالى - وعلى موازين العدل قامت عوالم السماوات والأرضين .

✽ وفى الاجتماع الإنسانى ، جاءت الشريعة الإلهية عدلاً كلها . وحكمة كلها .

✽ ولذلك ، جعل الله للخيرية فى الأمم والشعوب والحضارات معايير غير خاضعة للمحابة . ولا للميراث . . ولا للدعاء ﴿ لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ [النساء : ١٢٣] . . ﴿ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [سبأ : ٢٤] . . ﴿ وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ﴾ [محمد : ٣٨] .

أما الذين يجعلون من الخيرية ميراثاً عن الآباء والأجداد - مع التخلّى عن شروطها وصفاتها ومؤهلاتها - فإنهم أشبه ما يكونون باللصوص الذين يأكلون التراث أكلاً لما . . أو الذين لا يرون فى تاريخهم الحضارى أكثر من «أكفان للموتى» ! . . طامعين فى معاندة السنن الإلهية الحاكمة لأسباب التقدم والتخلف ، والنهوض والانحطاط ﴿ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴾ (١٣٧) هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ (١٣٨) وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٣٩) إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (١٤٠) وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ (١٤١) أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴿

[آل عمران : ١٣٧ - ١٤٢] . .

فأبواب الخيرية مفتوحة على مصاريعها أمام الأفراد والأمم والشعوب . . وشروطها وصفاتها ومؤهلاتها هى نعم إلهية متاحة للراغبين العاملين فى مختلف الميادين .

وإلا فإن الذين فضل الله آباءهم على العالمين ، يمكن أن يكونوا الأذلة الملعونين أينما ثقفوا إلا بحبل من الله الذى لا تحابى عدالته أحداً من العالمين .

عنصرية نزعة شعب الله المختار

وفى مقابل هذا المنهاج الإسلامى الذى يُخضع الخيرية - فى الأمم والشعوب والحضارات - للسببية والأسباب، ويجعلها ثمرة للصفات المكتسبة، المتاحة للأفراد والجماعات . . وجدنا ونجد النزعة العنصرية فى «التراث اليهودى»، وفى «تاريخ» الجماعات اليهودية، وفى «الممارسات الصهيونية» القائمة فى واقعنا المعاصر الذى نعيش فيه .

* لقد حوكت هذه النزعة العنصرية شريعة اليهودية التى جاء بها موسى ﷺ عن جوهر التوحيد، الذى يجعل الله - سبحانه وتعالى - واحداً واحداً ورباً لكل العالمين، إلى حيث احتكرته لذاتها - على قلة عدد أصحابها - جاعلة للشعوب الأخرى آلهتها!

* وحولت هذه النزعة العنصرية معايير التدين باليهودية عن أصولها الطبيعية والمنطقية . . فبدلاً من أن يكون الإيمان الدينى، والالتزام بمنظومة القيم والأخلاق، وعبادة الله وفق ما جاءت به الشريعة، هى معايير «التهود»، جعلوها معايير عرقية وعنصرية - بيولوجية! - . . فاليهودى - فى هذه النزعة العنصرية - هو المولود من أم يهودية حتى ولو انقطعت علاقاته بجوهر الدين! . . وبعبارة المفكر اليهودى «إسرائيل شاحك»: «فإن كون الإنسان يهودياً يعتمد على الانحدار من سلالة الأم، وليس على الإيمان الفعلى للشخص»^(٩) . .

* وحوكت هذه النزعة العنصرية معايير الخيرية من الأسباب والصفات الموضوعية والمكتسبة، إلى حيث جعلوها احتكاراً موروثاً فى نطاق هذه القلة التى تدعى الانتساب إلى العبرانيين القدماء . . فقالوا: ﴿ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ﴾ [المائدة: ١٨] . . وزعموا

أنهم وحدهم - وبصرف النظر عن المؤهلات والصفات - هم «شعب الله المختار»، الذين اصطفاهم واختارهم، بل و«قدسهم» دون العالمين .. وفوق جميع العالمين! ..

* وانطلاقاً من هذه النزعة العنصرية، التي احتكرت الخيرية، وارتفعت بها إلى مستوى «القداسة» و«العصمة» - عصمة الذين يفعلون ما يريدون، ولا يُسألون عما يفعلون! - كان العداء والاحتقار .. والكراهية .. والاستباحة لكل الأغيار - الذين يبلغون اليوم أكثر من ستة مليارات نسمة - في مقابل ثلاثة عشر مليوناً من اليهود! .. فكل هؤلاء الأغيار - أى كل خلق الله تقريباً - مستباحة حرمااتهم .. وأعراضهم .. ودماؤهم .. وأموالهم .. وأوطانهم؛ لأنهم ليسوا من «شعب الله المختار»، المقدس دون جميع الشعوب، وفوق جميع الشعوب! ..

ولقد أشار القرآن الكريم إلى هذه النزعة العنصرية عندما قال: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [البقرة: ١١٣] . . ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١] . . ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيْنِ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٥] . . ﴿أَوْ كَلِمَاتٍ عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ١٠٠] . .

* لقد فتح القرآن الكريم أبواب النجاة أمام كل الذين يؤمنون بوحداية الله .. ويؤمنون بالغيب .. ويعملون الصالحات، على تنوع الشرائع الإلهية التي يتخذونها سبيلاً للتعبير عن أصول هذا الإيمان ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٦٢] . .

* ودعا القرآن الكريم كل أم الرسالات السماوية إلى كلمة سواء: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤] .

* وقررت السنة النبوية - فى الممارسات الحياتية والاجتماعية وحقوق المواطنة - كامل المساواة لكل البشر، على اختلاف الأجناس والألوان والمعتقدات : «لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين، وعلى المسلمين ما عليهم حتى يكونوا للمسلمين شركاء فيما لهم وفيما عليهم»^(١٠).

* ولقد نهض رسول الله ﷺ احتراماً لحرمة جنازة يهودى - غير مسلم - . فلما تساءل بعض أصحابه :

- يا رسول الله ، إنها جنازة يهودى؟! قال صلى الله عليه وسلم :

- «أليست نفسا»؟ . .

وصنع ذلك صحابته مع جنازات مجوسية إبان التحرير الإسلامى للعراق - رواه البخارى ومسلم - .

* وكتب الإمام على بن أبى طالب [٢٣ ق هـ - ٤٠ هـ - ٦٠٠ - ٦٦١ م] - كرم الله وجهه - فى عهد تولية واليه على مصر «الأشتر النخعي» [٣٧ هـ - ٦٥٧ م] - يعلمه هذه القيم الإسلامية، فقال له : «الناس صنفان : إما أخ لك فى الدين، وإما نظير لك فى الخلق»^(١١).

* لكن النزعة العنصرية لعقيدة «شعب الله المختار» قد جعلت اليهود - بنص الأسفار التى كتبوها بأيديهم ثم قالوا هى من عند الله . . وبنص شروحها المرجعية فى [التلمود] - قد جعلتهم يقولون :

- «إن كلمة «نفس» تعنى اليهودى، ويستثنى منها غير اليهود والكلاب»^(١٢).

- «وإن الأغيار ليسوا من الإنسانية . . وإنما هم شياطين . . وكلاب . . وحمير . . وخنازير . . فكل غير اليهود مخلوقات شيطانية، ليس بداخلها أى شئ جيد على الإطلاق، حتى الجنين غير اليهودى يختلف نوعياً عن الجنين اليهودى، كما أن وجود غير اليهودى مسألة غير جوهرية فى الكون، فلقد تشاكل الخلق من أجل اليهود فقط»^(١٣).

* وانطلاقاً من هذه النزعة العنصرية فى احتكار الخيرىة . . بل واحتكار الإنسانية!! . . أفاض [التلمود] . . الذى هو جماع الشريعة عند اليهود- فى الحظ على :

- لعن الأغيار . . وأمهاتهم . . بل وموتاهم ؛ لأنهم كلاب! . . والدعاء عليهم بالدمار! (١٤).

- وإسقاط الأهلية عن كل الأغيار! (١٥).

- وإباحة النّصّب على الأغيار، والخداع لهم! (١٦).

- وإباحة سرقة الأغيار! (١٧).

- والحظ على الربا فى التعامل مع الأغيار! (١٨).

- بل وإباحة الزنا بنسائهم «لأن كل النساء غير اليهوديات عاهرات»! (١٩).

* وإذا كانت مجلدات [التلمود] هى الشريعة المعتمدة التى شرحت أسفار [العهد القديم]، فإن هذه الأسفار هى المرجعية العليا المعتمدة، لا عند اليهود فقط، بل وعند النصارى أيضاً، وهى ينبوع الطافح بهذه العنصرية الدموية، المكونة لثقافة الكراهية السوداء ضد سائر الأغيار، من مختلف الأمم والشعوب، والديانات والحضارات . . أى ضد سائر خلق الله! . .

- لقد جعل اليهود لهم إلهًا خاصًا بهم، «يهوه» وجعلوه «رب الجنود . . والجيوش . . المتعطش للارتواء بدماء كل الأمم والشعوب - غير اليهود . . وتحريم - أى إهلاك وإبادة - كل مكونات الحياة لدى كل الأمم والشعوب - غير اليهود»!! . .

ولذلك، كتبوا على لسان «يهوه» فى سفر حزقيال . . [إصحاح ٣٩ : ١٧ - ١٩] :

- «هكذا قال السيد الرب : قل لطائر كل جناح ولكل وحوش البر اجتمعوا وتعالوا احتشدوا من كل جهة إلى ذبيحتى التى أنا ذابحها لكم، ذبيحة عظيمة على جبال إسرائيل لتأكلوا لحماً وتشربوا دمًا. تأكلوا لحم الجبابرة وتشربوا دم رؤساء الأرض، كباش وحملان وأعتدة وثيران من مسمنات باشان، وتأكلون الشحم إلى الشبع وتشربون الدم إلى السكر من ذبيحتى التى ذبحتها لكم»!! . .

كما كتبوا على لسان ذلك الرب فى سفر أشعيا . [إصحاح ٣٤ : ١ - ٦] :

- «اقتربوا أيها الأمم لتسمعوا، وأيها الشعوب اصغوا لتسمع الأرض وملؤها، المسكونة وكل نتائجها؛ لأن للرب سخطاً على كل الأمم وحُموّاً على جيشهم . قد حرّمهم - أهلهم - ودفعهم إلى الذبح . فقتلهم تطرح وجيفهم تصعد نتانتها وتسيل الجبال بدمائهم، ويغنى جند السماوات : للرب سيف قد امتلأ دماً!! . .

فالكون مسرح للذبح والمذبحة والذبيحة، تهلك فيها كل شعوب الأرض ورؤساؤها، لتطرح جيفهم، وتصعد نتانتها، وتسيل بدمائهم الجبال، حتى تسكر الطيور والوحوش بدماء سائر الشعوب . . ويغنى جند بنى إسرائيل : إن للرب سيفاً قد امتلأ دماً!! . .

ولماذا كل هذا؟! . .

ليشفى «شعب الله المختار» غليله من كل الأغيار!! . .

ولتأيد هذه الثقافة العنصرية الدموية تجاه جميع الأغيار - من كل الأمم والشعوب والديانات والحضارات - قرن أحبار اليهود - الذين أعادوا كتابة أسفار التوراة فى مناخ السبى البابلى، وفى ظلال أحقادهم فيه - قرنوا العقيدة العنصرية، التى تجعلهم - وحدهم - أبناء الله وأحباؤه وأولياؤه وشعبه المختار، بل والمقدس، دون كل الشعوب، وفوق جميع الشعوب، قرنوها بدعوة الرب إياهم إلى إبادة الشعوب، بل وأكلهم أكلاً!! . . فنشروا فى أسفار العهد القديم النصوص، التى نسبوها إلى ربهم، والتى تقول لهم - على سبيل المثال - :

- «فقال الرب لموسى : اكتب هذا تذكّاراً فى الكتاب، وضعه فى مسامع يشوع : فإننى سوف أمحو ذكر عماليق من تحت السماء» سفر الخروج . [إصحاح ١٧ : ١٤] .

- «إن سمعت عن إحدى مدنك التى يعطيك الرب إلهك لتسكن فيها قولاً . . فضرباً تضرب سكان تلك المدينة بحد السيف وتحرقها - تهلكها - بكل ما فيها من بهائمها بحد السيف . تجمع كل أمتعتها كاملة للرب إلهك، فتكون تلاً إلى الأبد لا تبنى بعد . . لكى يرجع الرب عن حمو غضبه ويعطيك رحمة»! - سفر التثنية . [إصحاح ١٣ : ١٢، ١٥ - ١٧] .

فرحمة الرب مرهونة مشروطة بإبادة الأغيار وكل مكونات الحياة عند هؤلاء الأغيار، لمجرد أنهم «قالوا قولاً» سمعه اليهود! . .

- «وكلم الرب موسى فى عربات موآب على أُرْدُنَّ أريحا قائلاً: كلّم إسرائيل وقل لهم: إنكم عابرون للأردن إلى أرض كنعان، فتطردون كل سكان الأرض من أمامكم. . تملكون الأرض وتسكنون فيها، وإن لم تطردوا سكان الأرض من أمامكم يكون الذين تستبقون منهم أشواكا فى أعينكم ومناخس فى جوانبكم ويضايقونكم فى الأرض التى أنتم ساكنون فيها، فيكون أنى أفعل بكم كما هممت أن أفعل بهم!» سفر العدد . [إصحاح ٣٣: ٥٠-٥٣، ٥٥، ٥٦].

«وحين تقترب من مدينة لكى تحاربها استدعها إلى الصلح فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك، فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير، ويُستعبد لك، وإن لم تسالمك، بل عملت معك حرباً فحاصرها. وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف. أما النساء والأطفال والبهاائم وكل ما فى المدينة، كل غنيمتها، فتغنمها لنفسك، وتأكل غنيمة أعدائك التى أعطاك الرب إلهك. هكذا تفعل بجميع المدن. فلا تَسْتَبِقَ منها نسمة ما. بل تحرمها - تهلكها»

سفر التثنية . [إصحاح ٢: ١٠-١٦].

فالذين يصالحون ويسلمون، لهم العبودية والاستعباد. . والذين لا يصالحون ولا يسلمون لهم الإبادة والدمار!! . .

- «يقف الأجانب ويرعون غنمكم، ويكون بنو الغريب حراثيكم وكرّاميكم، أما أنتم فتدعون كهنة الرب، تأكلون ثروة الأمم، وعلى مجدهم تتأمرّون!»

سفر أشعيا . [إصحاح ٦١: ٥].

فكل الأجانب وجميع الغرباء وسائر الأغيار خدم وعبيد مسخرون عند اليهود، الذين يأكلون ثروة كل الأمم، ويتملكون ويتأمرّون على سائر الشعوب!! . .

- «سبع شعوب دفعهم الرب إلهك أمامك وضربتهم، فإنك تحرمهم - تهلكهم. . لا تقطع لهم عهداً ولا تشفق عليهم. ولا تصاهرهم. . لأنك أنت شعب مقدس للرب

إلهك . إياك قد اختار الرب إلهك لتكون له شعباً أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض . . مباركاً تكون فوق جميع الشعوب ، لا يكون عقيم ولا عاقر فيك ولا فى بهائمك . ويرد الرب عنك كل مرض ، وكل أدواء مصر الرديئة التى عرفتھا لا يضعھا عليك ، بل يجعلها على مبغضيك . وتأكل كل الشعوب الذين الرب إلهك يدفع إليك . لا تشفق عينك عليهم !!!

سفر التثنية . [إصحاح ٧ : ١ - ٣ ، ٦ ، ٧ ، ١٤ - ١٦] .

إنھا ذروة العنصرية ، وقمة الدموية ، وخلاصة هذه النزعة التى تجاوزت كل الحدود . . اليهود شعب الله المختار ، الذى اختاره دون جميع الشعوب ، وجعله فوق جميع الشعوب ، بل هم الشعب المقدس - مع بهائمہ كذلك ! - لا تصيبه أى من الأمراض . . التى يدفعها الرب إلى أعداء اليهود . .

وفى هذا النص ، لم يكتفوا بأن تكون لهم السيادة والإمارة على الأمم ، وبأن يأكلوا ثروات الأمم ، ويستعبدوا تلك الأمم . فأضافوا إلى كل ذلك التشريع «لأكل كل الشعوب» . . دوغما عهد يُقَطَّع . . ولا عين تشفق على تلك الشعوب ! . .

* ولم يكتفوا بتأثيرات هذه النصوص «الدينية» - وغيرها كثير - فى تأجيح نيران الثقافة العنصرية - ثقافة الكراهية السوداء - تجاه جميع الأغيار . . وإنما ذهبوا لتأييدها ، وتأييد تأثيراتها العنصرية على امتداد الدهور .

فبعد أن جعلوا إلههم هذا - يهوه - «الرب الذى لا يبرئ» ، بل يجعل ذنب الآباء على الأبناء ! - سفر العدد . [إصحاح ١٤ : ١٨] . . امتدوا بهذه العنصرية ، وهذه الكراهية ، وهذه الإبادة لتفعل فعلها فى واقع الممارسات التى يمارسها الكيان الصهيونى ضد الفلسطينيين ، فى واقعنا المعاصر والمعيش ! - وذلك بدعم من الصليبية الغربية ، شريكتهم فى ثقافة العهد القديم !

- فالخاخام «العقيد . أ . فيدان (زيمبل) يفتى - فى سبعينيات القرن العشرين - فتوى تنشرها القيادة العسكرية للمنطقة الوسطى فى الجيش الصهيونى - التى تقع الضفة

الغربية تحت سلطتها - يجدد فيها ويطبق هذه النصوص العنصرية الدموية التي كتبت في العهد القديم . . ويقول في هذه الفتوى المعاصرة .

«في حالة احتكاك قواتنا بمدنيين خلال الحرب، أو خلال مطاردة حامية، أو غارة، إذا لم يتوافر دليل بعدم إلحاقهم الأذى بقواتنا، هناك إمكانية لقتلهم، أو حتى ضرورة للقيام بذلك حسب الهالاكاه - الشريعة - . . بل تحض الهالاكاه على قتل حتى المدنيين الطيبين!!»^(٢٠).

فالقتل واجب للمدنيين الطيبين، بمقتضى الشريعة الحاكمة والمكونة لهذه الثقافة العنصرية الدموية .

- أما الخاخام «شمعون وايزر»، فإنه يفسر لأحد الجنود الصهاينة الذين يخدمون في فلسطين المحتلة سنة ١٩٦٧م نص العهد القديم: «ولتمح ذكرى العمالق من تحت السماء» سفر التثنية . . [إصحاح ٢٥ : ١٩]، فيجعل الفلسطينيين - وكل الأغيار - المعاصرين مثل «العمالق»، المطلوب - دائما وأبدا كلما أمكن - محو ذكراهم من تحت السماء . . فيقول هذا الخاخام:

«إنه لا يسمح في زمن الحرب بقتل كل عربى أو امرأة فحسب، بل يجب القيام بذلك أيضا!!»^(٢١)

- وحتى لحظات كتابة هذه الدراسة - مارس سنة ٢٠٠٥م - يعلن الخاخام الصهيونى البارز «دافيد دودكفيتش» خاخام مستوطنة «يتسهار» - المقامة على الأرض الفلسطينية المحتلة، قرب مدينة نابلس، فى الضفة الغربية - والذي يمثل المرجعية الروحية الرئيسية «لفتية التلال» اليهود، الذين يقومون بالاستيلاء على الأراضى الفلسطينية عنوة، ويقيمون عليها المستوطنات اليهودية يعلن هذا الخاخام البارز - فى مقابلة صحفية مع المجلة الأسبوعية الصهيونية «شيفع» - أنه «يزود المستوطنين اليهود بالتعليمات المفصلة التى تبيح لهم، بل وتحضهم على سرقة المحاصيل الزراعية للفلسطينيين!!» . . مبررا السرقة والاستيطان بقوله: «إننى لا أرى أن هذا الأمر غير شرعى من ناحية التوراة. هذه أوامر الرب!!»^(٢٢)

فلاستيلاء على أرض الأغيار ، وحتى سرقة المحاصيل الزراعية التى زرعها الأغيار هو «أوامر» الرب لليهود حسب التوراة! . .

تلك هى العنصرية اليهودية . . التى أدركها . . وتحدث عنها الإمام محمد عبده ، عندما قال - فى تفسير قول الله - سبحانه - على لسان اليهود : ﴿لَا تَزُمُّوا الْإِيمَانَ بِتَعْدِينِكُمْ﴾ [آل عمران : ٧٣] .

«إن اليهود حصروا الثقة بأنفسهم لزعمهم أن النبوة لا تكون إلا فيهم . بل غلوا فى التعصب والغرور حتى حقروا جميع الناس ، فجعلوا كل ما يكون من أنفسهم حسنا ، وما يكون من غيرهم قبيحا ، وهذا من الانتكاس الذى يحول بين أهله وبين كل خير . وإننا نرى من الناس اليوم من يحاول تغريب قومه بحملهم على أن يكونوا كذلك ، يحقرون كل ما لم يأت منهم وإن كان حسنا . فنعوذ بالله من الخذلان ، وعسى أن يعتبر هؤلاء بما رد الله به على أهل الكتاب إذ قال لنبيه : ﴿قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ﴾ [آل عمران : ٧٣] . لا هدى شعب معين هو لازم من لوازم ذاته ، فهو - سبحانه - يبين هذه على لسان من شاء من عباده ، لا تنقيد مشيئته بأحد ولا شعب»^(٢٣) .

obeikandi.com

العصمة الدولية لشعب الله المختار!

ولو أن هذه العقيدة العنصرية الدموية قد وقفت عند اليهود، لهان الأمر بعض الشيء، ولجاز أن نقول إنها شذوذ فكري، تقف حدوده وتأثيراته الكارثية عند أقلية لا يتعدى عددها ثلاثة عشر مليوناً من الناس . لكن الطامة الكبرى أن أصبحت هذه العقيدة العنصرية الدموية - أن اليهود هم شعب الله المختار، دائماً وأبداً - عقيدة دينية للصليبية الغربية، التي تلعب الدور الأكبر في توجيه السياسة الدولية الحديثة والمعاصرة .

فمنذ التحول العقدي الذي أحدثه «مارتن لوتر» [١٤٨٣ - ١٥٤٦م] في النصرانية الغربية، أصبح العهد القديم مرجعية مقدسة في هذه النصرانية - وخاصة البروتستانتية منها - . وأصبحت هذه المسيحية الغربية - في جملتها - «مسيحية - صهيونية»، تؤمن بأن:

١ - اليهود هم شعب الله المختار . ليس في التاريخ القديم فقط - كما هو الحال عند الكنيسة الأرثوذكسية - وإنما لا يزالون هم شعب الله المختار . .

٢ - وبأن الميثاق الإلهي الرابط بين اليهود والأرض المقدسة قائم أبداً .

٣ - وبأن عودة المسيح ليحكم الأرض ألف سنة سعيدة - رؤيا العودة وأسطورة الألفية - مشروطة بعودة اليهود إلى فلسطين، وإقامة الدولة الصهيونية، وإحلال اليهود محل الفلسطينيين، وبناء الهيكل على أنقاض المسجد الأقصى .

ومنذ ذلك التاريخ غدت «المسيحية الصهيونية» عقيدة لكنائس غربية كثيرة، وموجهة لدول ومؤسسات وقيادات، تضيء القداسة على شعب الله المختار - اليهود -

وتتخذهم سبيلاً لإقامة الدولة الخادمة للمشروع الإمبريالى الغربى فى قلب العالم الإسلامى ، والذى يفتح قيامها الباب لعودة المسيح ، وتحقيق الرؤى والأساطير المسيحية الصهيونية . . .

وانطلاقاً من هذا التطور «العقدى- والسياسى» ، تحول الكيان الصهيونى - الذى أقيم على أرض فلسطين سنة ١٩٤٨م - إلى ما هو أكثر من «دولة» من دول العالم . . تحول إلى «تجلٍ إلهى» وتحقيق «لنبوءة توراتية مقدسة» ، ومن ثم أصبحت «عصمة شعب الله المختار» عقيدة موجهة لسياسة المشروع الإمبريالى الغربى ، تجعل اليهود ودولتهم «كياناً معصوماً» من أن تطبق عليه القوانين الدولية والإرادات البشرية . . ولا تطبق عليه إلا معايير التوراة - بنصوصها العنصرية - فهو فعال لما يريد ، ولا يُسأل عما يفعل - ككل معصوم . . بل لقد أصبح النقد - مجرد النقد - لسياسات وممارسات هذا الكيان - الدموية - جريمة تتسابق الدول الغربية لمحاكمة مقترفيها!! . .

لقد أصبح «القيتو» الأمريكى - فى مجلس الأمن - هو حارس «العصمة لشعب الله المختار» وكيانه الصهيونى على أرض فلسطين . . وغدت تصريحات زعماء اليمين الدينى . . وقساوسة المسيحية الصهيونية عن أن إسرائيل كيان دينى ، وتجلٍ إلهى ، ونبوءة توراتية مقدسة ومعصومة من أن تعامل كمجرد دولة ، تطبق عليها القوانين البشرية - ومنها القوانين والقرارات الدولية - حتى لو صدرت عن المؤسسات الدولية - أصبح ذلك أمراً مقررأ وشائعاً ومرعياً ومطبقاً فى التعامل مع الكيان الصهيونى القائم على أرض فلسطين . . فشعب الله المختار - كما قالت أسفار العهد القديم - «شعب مقدس . . دون جميع الشعوب . . وفوق جميع الشعوب» . . ولديه تفويض «إلهى» بأن يأكل كل الشعوب أكلاً ، وأن يمحو ذكرى أعدائه - العرب والمسلمين - من تحت السماء ، كما حدث للعمالق!! . .

وإذا كنا قد فصلنا القول فى هذه القضية بكتابنا [فى فقه الصراع على القدس وفلسطين] ^(٢٤) ، فإننا نكتفى - هنا - بهذه «الإعلانات» المفصحة عن هذه العقيدة السائدة الحاكمة فى دول ومؤسسات الصليبية الغربية - والأمريكية منها على وجه الخصوص - :

* فالرئيس الأمريكى «ليندون جونسون» يخطب أمام إحدى المنظمات اليهودية

الأمريكية - فى العاشر من سبتمبر سنة ١٩٦٨ م - أى عقب انتصار إسرائيل فى حرب «الأيام الستة» - فىقول لهم :

«إن لأكثركم، إن لم يكن لجميعكم، روابط عميقة مع أرض ومع شعب إسرائيل، كما هو الأمر بالنسبة إلى؛ ذلك لأن إيمانى المسيحى انطلق من إيمانكم . إن القصص التوراتية محبوبة مع ذكريات طفولتى»^(٢٥).

* أما الرئيس الأمريكى «جيمى كارتر» فإنه يضع كل النقاط على جميع الحروف عندما يعلن - فى خطابه أول مايو سنة ١٩٧٨ م - :

«إن العودة إلى أرض التوراة التى أخرج منها اليهود منذ مئات السنين، وإن إقامة الأمة الإسرائيلية فى أرضها هو تحقيق لنسبة توراتية، وهى تشكل جوهر هذه النبوءة»^(٢٦).

* أما الرئيس «رونالد ريغان»، فإنه يعلن عن أن نبوءات العهد القديم هى التى ترسم له سياسته فى الصراعات الدولية، وتسيطر على مشاعره «إزاء إسرائيل، فىقول - سنة ١٩٨٤ م - فى حديث مع صحيفة «واشنطن بوست» :

«إننى أعود إلى النبوءات القديمة المذكورة فى العهد القديم، وإلى المؤشرات حول «هرمجدون» - المعركة الأسطورية التى ستعقب حشر اليهود فى فلسطين . . وبناء الهيكل . . . والتى سيبدأ فيها ملايين البشر، ليعود المسيح من جديد - فأتساءل بينى وبين نفسى : ما إذا كنا الجيل الذى سىرى تحقق هذه النبوءات . . إن هذه النبوءات تصف بالتأكيد ما نمر به الآن»^(٢٧).

* أما قساوسة اليمين الدينى والمسيحية الصهيونية، فإنهم يعلنون - بلسان رئيس التحالف المسيحى، المسيطر على الكونجرس الأمريكى، والمتحكم فى معركة الرئاسة الأمريكية، القس «بات روبرتسون» :

«إن هذه الأرض - أرض إسرائيل من النيل إلى الفرات - هى أرض الله، وإن الله كلمات قوية تجلب الغضب على من يقسم أرضه»!^(٢٨).

* ثم يأتى القس «كلارنس واجنر» ليعلمها صريحة : إن إسرائيل هى كيان إلهى

مقدس، لا تطبق عليها القوانين البشرية؛ لأنها قانون توراتي، لشعب الله المقدس والمختار والمعصوم، فيقول - عن السياسات والمفاوضات والاتفاقات البشرية حول الصراع العربي الصهيوني -:

«علينا أن نشجع الآخرين على فهم الخطط الإلهية وليس الخطط التي هي من صنع الإنسان في الأمم المتحدة، أو حتى في الولايات المتحدة، أو الاتحاد الأوروبي، أو في أوسلو أو في وادي ريفر إلخ. إن الله بعيد عن أي مخطط يعرض مدينة القدس للصراع، بما في ذلك منطقة جبل الهيكل وجبل الزيتون - حيث المسجد الأقصى - وهو - الله - أبعد ما يكون عن إعطاء القدس للعالم الإسلامي، إن المسيح لن يعود إلى مدينة إسلامية تدعى القدس، ولكنه سيعود إلى مدينة يهودية موحدة تدعى (جروزاليم)» (٢٩).

فشعب الله المختار . . المقدس فوق جميع الشعوب، ودون جميع الشعوب، له وحده هذه الأرض - أرض الله - والخطط الحاكمة لأفعال هذا الشعب المقدس هي «الخطط الإلهية»، وليست خطط الأمم المتحدة ولا غيرها من «الخطط التي هي من صنع الإنسان»!! . .

تلك هي النزعة العنصرية الدموية «لعقيدة شعب الله المختار» . . كما تجلت في نصوص العهد القديم . . والتلمود . . والسياسة والثقافة التي تحكم الكيان الصهيوني على أرض فلسطين . .

وتلك هي الأبعاد التي اتخذتها هذه العقيدة في المسيحية الصهيونية الغربية . . وفي الفكر الحاكم والموجه لمشروع الهيمنة الغربية . . أشرنا إلى معالمها منذ تبلورها في النصوص التي كتبها أحبار اليهود إبان حقبة السبي البابلي [٧٢١ ق.م]، وحتى هذه اللحظات . .

فأين هذه «العنصرية الدموية» - الخرافية - من النزعة الإنسانية التي تجلت فيها العدالة الإلهية، التي حكمت المنهاج الإسلامي في تحديد الصفات والشروط والمعايير الحاكمة لخيرية الأمة الإسلامية؟؟ . .

وصديق الله العظيم: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

والحمد لله على نعمة الإسلام . . وإنسانية الإسلام . . وعدالة المنهاج الإسلامي في العلاقات بين الأمم والشعوب والديانات والحضارات.

الهوامش:

- (١) الراغب الأصفهاني: [المفردات في غريب القرآن] - مصطلح «الأمة» - طبعة دار التحرير - القاهرة، سنة ١٩٩١ م.
- (٢) المصدر السابق - مصطلح «خير».
- (٣) المصدر السابق - مصطلح «المعروف» و«المنكر».
- (٤) الإمام محمد عبده [الأعمال الكاملة] ج ٥ ص ٥٤ - ٥٥. دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة. طبعة دار الشروق - القاهرة، سنة ١٩٩٣ م.
- (٥) المصدر السابق. ج ٥ ص ٥٤.
- (٦) المصدر السابق. ج ٥ ص ٥٩ - ٦٥.
- (٧) المصدر السابق. ج ٥ ص ٥٦ - ٥٧.
- (٨) المصدر السابق. ج ٥ ص ٥٧ - ٥٩.
- (٩) إسرائيل شاحاك [الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود] ص ٧٧ ترجمة: حسن خضر. طبعة دار سينما - القاهرة، سنة ١٩٩٤ م.
- (١٠) [مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة] - من عهد رسول الله ﷺ إلى نصارى نجران - ص ١٢٦ - تحقيق: د. محمد حميد الله الحيدر آبادى. طبعة القاهرة، سنة ١٩٥٦ م.
- (١١) [نهج البلاغة] ص ٣٣٤ - بشرح الإمام محمد عبده - تحقيق: محمد أحمد عاشور، محمد إبراهيم البنا - طبعة دار الشعب - القاهرة.
- (١٢) [الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود] ص ١٦٨.
- (١٣) المرجع السابق. ص ٣٦، ٣٧، ٤٠.
- (١٤) المرجع السابق. ص ١٦٨ - ١٧١، ٣٤.
- (١٥) المرجع السابق. ص ١٥٨.

- (١٦) المرجع السابق. ص ١٦١ .
- (١٧) المرجع السابق. ص ١٦٢ .
- (١٨) المرجع السابق. ص ١٦٠ ، ١٧٣ .
- (١٩) المرجع السابق. ص ١٦٢ .
- (٢٠) المرجع السابق. ص ١٣٤ - ١٣٥ .
- (٢١) المرجع السابق. ص ١٣٦ - ١٤٠ .
- (٢٢) صحيفة «الشرق الأوسط» - لندن - في ٦ / ٣ / ٢٠٠٥ م - رسالة الصحفي «صالح النعيمى» - من غزة .
- (٢٣) [الأعمال الكاملة] ج ٥ ص ٤٣ . طبعة بيروت ، سنة ١٩٧٢ م .
- (٢٤) د . محمد عمارة [فى فقه الصراع على القدس وفلسطين] طبعة دار الشروق - القاهرة ، ٢٠٠٥ م .
- (٢٥) محمد السمك [الدين فى القرار الأمريكى] ص ٤١ . طبعة بيروت ، سنة ١٤٢٤ هـ - سنة ٢٠٠٣ م .
- (٢٦) المرجع السابق. ص ٤١ - ٤٢ .
- (٢٧) المرجع السابق. ص ٤٣ .
- (٢٨) المرجع السابق. ص ٧٦ .
- (٢٩) المرجع السابق. ص ٧٦ .

المصادر والمراجع

✱ القرآن الكريم

✱ العهد القديم

✱ إسرائيل شاحك: [الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود] ترجمة: حسن خضر. طبعة دار سينما - القاهرة، سنة ١٩٩٤ م.

✱ الراغب الأصفهاني: [المفردات في غريب القرآن] طبعة دار التحرير - القاهرة، سنة ١٩٩١ م.

✱ صالح النعيمي: صحيفة [الشرق الأوسط] - لندن - في ٦ / ٣ / ٢٠٠٥ م.

✱ علي بن أبي طالب: [نهج البلاغة] - بشرح الإمام محمد عبده - تحقيق: محمد أحمد عاشور، محمد إبراهيم البنا - طبعة دار الشعب - القاهرة - بدون تاريخ.

✱ د. محمد حميد الله - محقق: [مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة] طبعة القاهرة، سنة ١٩٥٦ م.

✱ محمد السماك: [الدين في القرار الأمريكي] طبعة دار النفائس - بيروت، سنة ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

✱ محمد عبده - الأستاذ الإمام: [الأعمال الكاملة] دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة. طبعة دار الشروق - القاهرة، سنة ١٩٩٣ م.

✱ د. محمد عمارة: [في فقه الصراع على القدس وفلسطين] طبعة دار الشروق - القاهرة، سنة ٢٠٠٥ م.
